

لماذا نخلص بالإيمان فقط ؟

بقلم: شكري حبيبي

بالرغم من مرور ألفي سنة على مجيء المخلص الرب يسوع المسيح، وإكماله لعمل التكفير عن الخطية، مازال الكثيرون يتساءلون: هل حقا نخلص بمجرد الإيمان فقط؟ وهل من المعقول أن يغفر الله خطايانا بدون أية أعمال صالحة نقوم بها؟ إنها بالفعل تساؤلات هامة، جديرة بالبحث والدراسة. ولكي نجيب عنها نود أن نعود إلى الأصحاح الرابع من رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية. لنرى كيف يناقش الرسول بولس هذا الموضوع الهام.

بعد أن أكد الرسول بولس في الأصحاح الثالث من رسالته إلى رومية أنه ليس بار ولا واحد، وأن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، وبعد أن كشف عن تبرير الله المجاني ونعمته التي نحصل عليها بواسطة الإيمان بيسوع المسيح وعمله الكفاري على الصليب، عاد ليناقد في الأصحاح الرابع عن العلاقة بين الإيمان والأعمال. ولقد استشهد الرسول بولس بإبراهيم ليؤكد على حقيقة التبرير أمام الله بالإيمان فقط، وبدون الأعمال. وتساءل في البداية بما معناه: ماذا وجد إبراهيم نتيجة لأعماله حسب الجسد؟ أو على ماذا حصل إبراهيم نتيجة لأعماله؟ فأجاب قائلا: "لأنه إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر. ولكن ليس لدى الله. لأنه ماذا يقول الكتاب. فأمن إبراهيم بالله فحُسب له برا." (العددان ٢ و٣) لقد حصل إبراهيم إذن على تبرير الله بالإيمان فقط. أما سبب ذلك فيعود كما شرح الرسول بولس، أن الذي يعمل لا تُحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين. أي أن الذي يعمل يتوقع أن يتلقى أجرة نتيجة عمله. "أما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبزر الفاجر فإيمانه يُحسب له برا." (عدد ٥) وهنا تتجلى نعمة الله العظمى، وتبريره المجاني للإنسان للخاطئ عن طريق الإيمان فقط. ولهذا أتت الطوبى في مزمور النبي داود للذين غُفرت آثامهم وسُتِرت خطاياهم، وللرجل الذي لا يحسب له الرب خطية. (أعداد ٦-٨)

لكن الرسول بولس ولكي لا يترك أي شك لدى القارئ، حول حقيقة التبرير بالإيمان، عاد وطرح التساؤلين التاليين: أفهذا التطويب هو على الختان-أي التطهير في الجسد- فقط أم على الغرلة أيضا؟ وكيف حُسب لإبراهيم الإيمان برا وهو في الختان أم في الغرلة؟ أجابنا الرسول بولس قائلا: لقد كان هذا التطويب لإبراهيم وهو في الغرلة. (العددان ٩ و١٠) أي أراد الرسول بولس القول، أنه حتى الختان الذي هو عمل يقوم به الإنسان، لا علاقة له بالخلاص أو تبرير الله. فإله حسب إيمان إبراهيم برا وقبل أن يختتن

أُويتظهر. وأضاف الرسول بولس قائلاً: أن إبراهيم "أخذ علامة الختان ختما لبر الإيمان." (عدد ١١ أ) أي تأكيداً من الله للبر الذي سبق أن حصل عليه بواسطة الإيمان، والذي جعله من أولاد الله، وفي علاقة خاصة معه.

وهكذا نحن اليوم علينا أن نؤمن فقط بالخلاص الذي أعده الله، من خلال كفارة المسيح، لكي نحصل على تبرير الله لنا، وبدون أي عمل نقوم به. فالإيمان بالمخلص المسيح، هو الذي يجعلنا من أولاد الله ومن شعبه، وفي علاقة خاصة معه. ولهذا نقرأ في الإنجيل بحسب بشارة يوحنا هذه الآية المقدسة: "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا من أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله." (بشارة يوحنا ١: ١١-١٣) وكما أخذ إبراهيم الختان علامة من الله تأكيداً لحصوله

على البر بواسطة الإيمان، هكذا نحن اليوم نختم بالروح القدس عندما نؤمن، تأكيداً من الله لحصولنا على تبريره المجاني الكامل. "أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم الذي فيه أيضاً إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده." (أفسس ١: ١٣ و ١٤) وهذا الختم يسميه الكتاب "ختان القلب بالروح... الذي مدحه ليس من الناس بل من الله." (رومية ٢: ٢٩)

ثم كشف لنا الرسول بولس عندها ثلاث حقائق هامة جديدة :

الحقيقة الأولى: أن إبراهيم صار أباً للمؤمنين جميعاً. فهو "أخذ علامة الختان ختما لبر الإيمان الذي كان في الغرلة ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم في الغرلة كي يحسب لهم أيضاً البر." (عدد ١١) حقا ما أعظم كلمة الله وما أدقها. فانه خطط منذ الأزل أن يشمل خلاصه جميع الشعوب والأمم عن طريق الإيمان، لهذا كان لابد أن يحسب لإبراهيم إيمانه براء، وهو في حالة الغرلة وقبل أن يختتن، لكي يستطيع أن ينال البر عن طريق الإيمان، كل من سيؤمن في المستقبل بالمسيح المخلص، وهو في حالة الغرلة، أي في حالة عدم التطهير في الجسد. وهذا يؤكد لنا أن الخلاص هو بالإيمان فقط، وبدون أي عمل نقوم به.

الحقيقة الثانية: أن إبراهيم صار أباً للذين يؤمنون من الختان. "وأباً للختان للذين ليسوا من الختان فقط بل أيضاً يسلكون في خطوات إيمان أبينا إبراهيم الذي كان وهو في الغرلة." (عدد ١٢) أي أكد لنا الرسول بولس أن الختان بحد ذاته لا يكفي، لكي يحصل الإنسان على تبرير الله، إذ عليه أن يؤمن كما آمن إبراهيم لكي ينال بر الله. "لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختانا. بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي

وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان" (رومية ٢: ٢٨ و ٢٩) وبذلك نفى الرسول بولس أي دور للأعمال في خلاص الإنسان.

الحقيقة الثالثة: أن الوعد لإبراهيم بالميراث كان عن طريق الإيمان، وأن جميع المؤمنين هم ورثة. "فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثا للعالم بل ببر الإيمان. لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد." (العددان ١٣ و ١٤) كشف الرسول بولس هنا أنه حتى الوعد بميراث العالم، أي ميراث ملكوت الله وبركاته، لم يكن نتيجة لأي عمل قام به إبراهيم، بل كان بسبب إيمانه. وأضاف قائلا أن ورثة هذا الوعد ليس الذين من الناموس بل هم كل المؤمنين. "لهذا هو من الإيمان كي يكون على سبيل النعمة ليكون الوعد وطيدا لجميع النسل ليس لمن هو من الناموس فقط بل أيضا لمن هو من إيمان إبراهيم الذي هو أب لجميعنا. كما هو مكتوب إنني قد جعلتك أبا للأمم كثيرة. (العددان ١٦ و ١٧) إن المؤمنين بالمسيح إذن هم جميعا ورثة، ولا يوجد بعد المسيح فرق أو تمييز بين أي شعب وآخر. "فإن كنا أولادا فإننا ورثة أيضا ووارثون مع المسيح." (رومية: ٨: ١٧) أليس هذا هو نفسه السر الذي كشف عنه الرسول بولس في رسالته إلى أفسس عندما كتب قائلا: " أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل"؟ (أفسس ٣: ٦)

أمام كل هذه الأدلة والقرائن والحقائق التي أوردها الرسول بولس في هذا الأصحاح هل يبقى هناك أدنى شك، أننا بالإيمان والإيمان فقط، نحصل على بر الله ونعمته وخلصه المجاني، وأننا نرث كل مواعيد الله وبركاته؟ لقد آمن إبراهيم وعلى خلاف الرجاء، أي بالرغم من أن كل الأمور الحسية الملموسة كانت تعاكس إيمانه، آمن "وتيقن أن ما

ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضا. لذلك أيضا حُسب له برا." (العددان ٢١ و ٢٢) حقا ما أعظم إيمان إبراهيم.

لكن مثال إبراهيم لم يُكتب من أجله وحده فقط، ولهذا ختم الرسول بولس الأصحاح الرابع بهذه الآية المعبرة: "بل من أجلنا نحن أيضا الذين سيُحسب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات. الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا." (العددان ٢٤ و ٢٥) هذا هو موضوع الإيمان بالنسبة لنا، وهذا هو التحدي الذي نواجهه أن نؤمن فقط بالخلص الذي أعده الله من أجلنا. فهل تثق قارئتي وتتيقن أنك بمجرد إيمانك بعمل المسيح الكفاري من أجلك على الصليب، وبقيامته المجيدة من بين الأموات تتبرر أمام الله . وليس هذا فحسب بل تصبح من أولاد الله وشعبه، وتحظى بالحياة الأبدية. فهل تراك تقبل التحدي كإبراهيم وتؤمن؟